

هل ثبت عن السلف أنهم كانوا يتركون مجالس العلم في رمضان؟

عبدالله بن فهد الخليلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد:

فإن مما اشتهر في هذه الأعصار أن السلف كانوا يتركون مجالس العلم في شهر رمضان ويتفرغون لقراءة القرآن.

والحق أن ذلك قد ورد عن ثلاثة من علماء السلف وهم **الزهري** وهو تابعي وعن **الثوري** و**مالك** وهما من أتباع التابعين، ولم يرد شيء عن الصحابة في ذلك.

قال **ابن رجب** في لطائف المعارف (١/١٨٣):

(كان الزهري إذا دخل رمضان يقول: إنما هو قراءة القرآن و إطعام الطعام).

قال **ابن الحكم**: (كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث و مجالسة أهل العلم).

قال **عبد الرزاق**: (كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة و أقبل على قراءة القرآن). اهـ

وهذه الآثار الثلاثة لم أجد لها أسانيد بعد البحث الطويل، ولم أجد أحداً ذكرها قبل الحافظ ابن رجب، وقد استعنت ببعض البرامج البحثية.

ثم وجدت سنداً لأثر الزهري:

قال **ابن عبد البر** في التمهيد (٦/١١١):

حدثنا خلف بن أحمد ، حدثنا أحمد بن سعيد قال: سمعت عبدالله ابن جعفر أبا

القاسم القزويني يقول: سمعت طاهر بن خالد بن نزار يقول:

سمعت أبي يقول سمعت القاسم بن مبرور يقول: سمعت يونس بن يزيد يقول:
(كان ابن شهاب إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام وكان ابن
شهاب أكرم الناس وأخباره في الجود كثيرة جدا نذكر منها لمحة دالة). اهـ

أقول: وهذا سند لا يصح فعبد الله بن محمد بن جعفر أبو القاسم القزويني
قال ابن عساكر في ترجمته من تاريخ دمشق (٣٢ / ١٦٩): (قال ابن المقرئ هكذا
حدثنا هذا الشيخ ورأيت أصحابنا ضعفوه بعد كتابنا عنه والله اعلم وأنكروا عليه
أشياء). اهـ

وقال أيضاً (٣٢ / ١٧١):

أخبرنا أبو محمد بن الأکفاني شفاها نا عبد العزيز بن احمد نا تمام بن محمد اجازة أنا أبو
عبد الله بن مروان قال وكان خليفته يعني محمد بن العباس الجمحي على دمشق عبد الله
بن محمد القزويني كتب إلي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن مندة وحدثني أبو بكر
اللفتواني عنه أخبرنا عمي عن أبيه ح قال اللفتواني وأنا أبو عمرو بن مندة إجازة عن
أبيه أبي عبد الله قال قال أنا أبو سعيد بن يونس:
(عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني يكنى أبا القاسم كان فقيها على مذهب الشافعي
وكانت له حلقة بمصر.

وكان قد تولى قضاء الرملة وكان محمودا فيما يتولى وكان يظهر عبادة وورعا وكان قد ثقل
سمعه شديدا وكان يفهم الحديث ويحفظ.

وكان له مجلس إملاء في داره وكان يجتمع إليه حفاظ الحديث وذوو الأسنان منهم.
وكان مجلسه وقيرا ويجتمع فيه جمع كثير فخلط في آخر عمره ووضع أحاديث على متون
محفوظة معروفة وزاد في نسخ معروفة مشهورة فافتضح وحرقت الكتب في وجهه وسقط
عند الناس وترك مجلسه فلم يكن يجيء إليه أحد توفي بعد ذلك بيسير). اهـ

وقال أيضاً:

(وأخذ عليه أنه كان إذا حدث يقول لأبي جعفر بن البرقي في حديث بعد حديث كتبت هذا عن أحد فكان ذاك يقول له نعم كتبتك عن فلان وفلان فلما كثر هذا منه قال له القزويني ما مثلي ومثلك إلا كشاعر جاء إلى رجل فمدحه بقصيدة فلما فرغ منها وانتظر جائزته قال له هذه قصيدة مقولة فحلف ذاك أنه ما قالها إلا هو وأنه سهر فيها حتى نظمها فقال له الممدوح أنا أنشدك إياها حتى تعلم أنها مقولة فأنشده إياها فأنكر الناس هذا على القزويني مع ما أنكروا عليه واتهموه بأنه يفتعل الأحاديث). اهـ

وفي سؤالات الحاكم للدارقطني:

[١١٥] سألت أبا الحسن عن عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني المحدث بمصر

فقال: (كذاب يضع الحديث). اهـ

أقول: فهذا الأثر موضوع على الزهري والله أعلم.

وقال المزي في تهذيب الكمال (٣٩٧/٢):

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَصِصِيُّ: (سمعت عبد الله بن يوسف يقول: سماعي [

الموطأ] من مالك عرض الحنيني، عرضه عليه مرتين، سمعت أنا وأبو مسهر.

قال: (وكان الحنيني إذا دخل شهر رمضان، ترك سماع الحديث.

فقال له مالك: يا أبا يعقوب، لم تترك سماع الحديث في رمضان ؟

إن كان فيه شيء يكره في رمضان، فهو في غير رمضان يكره ؟

فقال له الحنيني: يا أبا عبد الله، شهر أحب أن أتفرغ فيه لنفسي. اهـ

المصيصي قال عنه ابن حبان في المجروحين:

كَانَ يَغْلِبُ الْأَخْبَارَ وَيَسْرِفُهَا، لَا يَجُوزُ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ إِذَا انْفَرَدَ). اهـ

أقول: وهذا الأثر - إن صح - يخالف ذلك الذي أورده ابن رجب عن الإمام مالك،

فظاهره أن الإمام مالك ينكر على من ترك مجالس الحديث في رمضان، ويقيس في ذلك قياساً صحيحاً، وهو أن ما كان قرينةً في غير رمضان، فهو قرينة في رمضان أيضاً، ولكن الأثر لا يصح عن مالك، وحتى الأثر الذي ذكره ابن رجب لو صح إلى ابن عبد الحكم فلا يصح عن مالك فإن ابن عبد الحكم لم يدرك مالكا.

وقبل أن أتيج المجال للإخوة ليفيدوا بما عندهم في هذا الموضوع:

هنا عدة تنبيهات:

التنبيه الأول:

لا شك عند عموم المسلمين في فضل القرآن وضرورة العناية به لكل مسلم وأن ذلك يتأكد في رمضان.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن [٢٣٤] :

(حدثنا حجاج، عن شعبة، عن محمد بن ذكوان، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث).

وقال ابن كثير في فضائل القرآن:

(ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان لأنه ابتدئ بنزوله ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان). اهـ

ولكن لا بد لقاريء القرآن من تدبره، قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

لِيَذَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/٧٤):

الوجه الخامس والخمسون:

(ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه و سلم أنه قال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه وتعليمها وتعلم معانيه وتعليمها وهو اشرف قسمي علمه وتعليمه فإن المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة اليه فنعلم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها وتعلم اللفظ المجرد وتعليمه تعلم الوسائل وتعليمها وبينهما كما بين الغايات والوسائل). اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٧ / ٤٢٤):

(وأما النوع الثاني الجهال فهؤلاء الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى و إن هم إلا يظنون.

فعن ابن عباس و قتادة فى قوله و منهم أُميون أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا و قراءة بلا فهم و لا يدرون ما فيه.
و قوله إلا أمانى أي: تلاوة.

فهم لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمعون يتلى عليهم.
قاله الكسائي و الزجاج و كذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب و لا كتابته إلا أمانى إلا ما يحدثهم به علماءهم.

و قال أبو روق و أبو عبيدة أي تلاوة و قراءة عن ظهر القلب و لا يقرأونها فى الكتب ففي هذا القول جعل الأمانى التى هى التلاوة تلاوة الأميين أنفسهم و فى ذلك جعله ما يسمعون من تلاوة علمائهم و كلا القولين حق والآية تعمهما). اهـ

أقول: ولا شك أن تعلم السنة من أعظم ما يعين على فهم القرآن.

قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]

فلا يجوز والحال هذه، أن يجعل تعلم السنة المعين على فهم القرآن من الصد عن القرآن الذي يتأكد الإقبال عليه في شهر رمضان، بل إن تعلم السنة من أعظم ما يعين على

فهم القرآن.

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١٧٨): (والكلام في العلم أفضل من الأعمال، وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به نفي الجهل ووجه الله تعالى والوقوف على حقيقة المعاني). اهـ

قال الله تعالى:

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب: ٣٤].

قال الشافعي في الرسالة [ص ٧٧]:

(فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله). اهـ

أقول: فإذا كانت الحكمة هي السنة، فالأمر بذكرها شاملٌ لكل السنة، لا فرق بين شهر وشهر.

والزهري ومالك وسفيان إذا قرأوا القرآن، فقهوه على وجهه لما عندهم من علم الكتاب والسنة وآثار السلف، واكتمال أدوات الاجتهاد عندهم، وهذا لا يوجد في عامة أهل عصرنا.

قال زهير بن حرب في كتاب العلم [٩٧]:

(ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن أيوب قال قال رجل لمطرف: أفضل من القرآن تريدون؟

قال: لا، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا).

وهذا يبين منهجية السلف في طلب فقه القرآن، وأن ذلك يكون بطلب الأحاديث النبوية والآثار السلفية.

التنبيه الثاني:

الأثر الوارد عن سفيان فيه أنه كان يترك جميع العبادة، يدل على أنه يترك فضول المباحات من باب أولى. فلا يأتي شخصٌ مسرف في المباحات ولا يقبل على القرآن إقبال السلف، بل إذا قرأه هذه هذأً، ولا يفقه كثيراً منه، ثم يترك مجالس العلم بل ينكر على من يرى في يده كتاباً، أو يحضر مجالس العلم بحجة اتباع السلف!

التنبيه الثالث:

قال البخاري في صحيحه [١٩٠٢]:
(حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَوْمُ الْفِطْرِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

أقول: وأعظم الجود، الجود بالعلم.

قال ابن رجب في لطائف المعارف [ص ١٧١]:

(فدل هذا على أنه - صلى الله عليه وسلم - أجود بني آدم على الإطلاق. كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة. وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه

وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم، ولم يزل - صلى الله عليه وسلم - على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ). اهـ

وما قاله ابن رجب متجه فالصحابي قال (أجود بالخير) ولم يقل (أجود بالمال)، والألف واللام للاستغراق فتفيد العموم، والمناسبة بين الجود بالعلم ومعارضة جبريل بالقرآن، أظهر وأبين من المناسبة بين الجود بالمال ومعارضة جبريل بالقرآن وإن كان كلاهما واقعاً منه صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/٢٩٢):

(الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود والجود به أفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال). اهـ

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤/٤٢):

(كما أن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر فله ملائكة موكلة بالهدى والعلم هذا رزق القلوب وقوتها وهذا رزق الأجساد وقوتها قال الحسن البصري في قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ٣] قال إن من أعظم النفقة نفقة العلم أو نحو هذا الكلام وفي أثر آخر نعمت العطية ونعمت الهدية الكلمة من الخير يسمعها الرجل فيهديها إلى أخ له مسلم). اهـ

أقول: إقامة مجالس للعلم تسد شيئاً من حاجة الناس إلى الوحي، من أعظم ما يحصل به الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في جوده في شهر رمضان.

بل حاجة الناس إلى العلم أعظم من حاجتهم إلى المال قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢٢/٤٠٢):

فَتَبَيَّنَ أَنَّ حَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى الْهُدَى أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الرِّزْقِ وَالنَّصْرِ بَلْ لَا نِسْبَةَ
بَيْنَهُمَا؛ فَلِهَذَا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ هُوَ الْمَفْرُوضُ عَلَيْهِمْ. اهـ

التنبية الرابع:

نجد بعض الناس يتركون مجالس العلم في شهر رمضان، وربما أنكروا على من يحضرها في
هذا الشهر، والحجة اتباع السلف!، ثم نجده حريصاً حرصاً عظيماً على إعطاء كلمة بعد
الركعات الأربع الأولى من صلاة التراويح ولم يثبت هذا عن أحدٍ من السلف فأين
اتباعهم؟!

التنبية الخامس:

قال **الذهبي** في ترجمة يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي من سير أعلام النبلاء (٢٨٨ / ١٢)
وهو من رجال ابن ماجه:

(وسمعت محمد بن صالح يقول: حضرنا آخر مجلس للإملاء عند يحيى بن محمد الشهيد
في شهر رمضان من سنة سبع وستين ومئتين، وقيل في شوال). اهـ
وهذا - **إن صح** - يدل على شهرة تلك المجالس عند السلف في شهر رمضان.

وجاء في سند كتاب الأمالي في آثار الصحابة **لعبد الرزاق** ما يلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم

رب زدني علماً أخبرتنا المسندة الخيرة الكاتبة أم عبد الله نشوان بنت عبد الله بن علي
الكنانية سمعا عليها في تاسع جماد الأول سنة ٨٦٥ هـ.... وذكر سند الكتاب إلى أن

قال: نا أبو عبد الله الحسين بن عبد الجبار السكري قراءة عليه في يوم السبت ١٥

شهر رمضان سنة ٤١٥ هـ...) وأكمل السند. اهـ

وجاء في السماعات الموجود في مستخرج أبي نعيم على صحيح مسلم (١٥١/٣):

(وكتب يوسف بن خليل بن عبد الله

سمع جميع هذا الجزء على الشيخ الإمام العالم الأوحى الحافظ شيخ الإسلام شمس الدين أبي الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله دمشقي مد الله تعالى في عمره سماعه فيه بخطه بقراءة الإمام العالم تقي الدين أبي محمد إدريس بن محمد بن أبي الفرج بن بدير الحموي الجماعة العلماء الإمام العالم عماد الدين أبو محمد عبد الحميد بن علي بن الحسن بن عبد الله الدخاني وشمس الدين أبو الحسن علي بن محمود بن علي وشمس الدولة بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر السهرورديان والمقري مجد الدين أبو محمد عبد الله بن الحسين بن علي وأبو البنا محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأزركيان والفقيه رشيد الدين أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن علي بن مروان بن أبي بكر الفهري الطرطوشي وشرف الدين أبو سليمان داود بن أبي بكر بن أبي القعني بن قتيبة الفرضي وبهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن الإمام العالم أفضى القضاة محي الدين أبي المكارم محمد بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ونجم الدين أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن شبلي الأربلي وأبو حفص عمر بن إبراهيم بن خليل المؤذن الحضري وعبد الرحمن بن صالح بن هاشم بن العجمي وأبو الحسن علي بن عبد بن عسكر الحلبي ومحمد بن أبي الفتح بن ياقوت الأدمي أبوه وفي المسمع ابن مو بن عبد الله الكرخي قطب التشريع عبد الصمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن بكران التبرجاني وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وستمائة بدار المسمع بحلب حماها الله تعالى والسماع الصحيح والحمد لله على كل حال الحمد لله وحده)

وجاء في سند كتاب فضائل الصحابة للدارقطني: "خَبَرَنَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو بَكْرٍ مِسْمَارُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعُوَيْسِ النَّيَّارِ الْمُقَرِّيُّ الْبَغْدَادِيُّ... وذكر السند إلى أن قال: قال: أنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ، قراءة عليه وأنا أسمع يوم الثلاثاء لست بقين من شهر رمضان من سنة خمس وثمانين وثلثمائة). اهـ

أقول: فأملى الدارقطني هذا الكتاب في شهر رمضان.

وجاء في أمالي ابن سمعون لأبي الحسن البغدادي المتوفى عام ٣٨٧ هـ:
وأول المجلس الخامس عشر: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون إملاء يوم
الثلاثاء النصف من شهر رمضان سنة سبع وثمانين وثلاث مئة. اهـ

وجاء في أمالي المحاملي (١ / ٢٧١):

(مجلس يوم الأحد لأحد عشر بقين من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة). اهـ

وجاء في العمدة لفخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرّج الإبري:

الشيخ الثالث والعشرون:

[١٠٢] أخبرنا الشيخ الصالح والدي أبو نصر أحمد بن الفرّج بن عمر الدينوري رحمه الله
بقراءة البونارقي في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة تسعين وأربعمائة. اهـ
وجاء في سند كتاب الغيلانيات لأبي بكر الشافعي:

[١] (أخبرنا أبو محمد الحسن بن عبد الملك بن محمد بن يوسف قراءة عليه فأقر به،
وأنا أسمع وهو يسمع وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وتسعين وأربعمائة قال: أنبأ
أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان قراءة عليه في شهر ربيع الأول من سنة
خمس وثلاثين وأربعمائة قال:

ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله البزاز المعروف بالشافعي إملاء في
يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وهو أول سماعي
منه). اهـ

أقول: فأملى كتابه هذا في شهر رمضان.

وجاء في كتاب المجالس العشرة للحسن الخلال [٣٠]:

(حدثنا الحسن بن محمد الشيخ الحافظ إملأ في يوم الجمعة بعد الصلاة لست خلون من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة بجامع المنصور.. وأكمل السند). اهـ
والم تأمل في سماعات أهل الحديث يجد كثيراً من هذا، وقد وقعت هذه السماعات في تلك العصور ولم ينكرها أحد فتأمل.

التنبية السادس:

اشتهر عند أهل التواريخ والسير أن غزوة بدر وفتح مكة كانا في شهر رمضان، فإذا كان الجهاد البدني مشروعاً في شهر رمضان وليس من الأشهر الحرم فكذلك الجهاد العلمي، وهو أجل من جهاد السيف.

قال ابن القيم في الفروسية [ص ١٥٧]:

(فالفروسية فروسيتان فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان ولما كان أصحاب النبي أكمل الخلق في الفروسيتين فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان.
وما الناس إلا هؤلاء الفريقان ومن عداهما فإن لم يكن ردءا وعونا لهما فهو كل على نوع الإنسان.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بجدال الكفار والمنافقين وجلاد أعدائه المشايق والمحاربين فعلم الجدال والجلاد من أهم العلوم وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤسائهما). اهـ

وقال في مفتاح دار السعادة (١/٨٠):

(وقد اختلف في تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء وعكسه وذكر لكل قول وجوه من التراجيح والادلة ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته.
فإن الحاكم في هذه المسئلة هو العلم فيه واليه وعنده يقع التحاكم والتخاصم والمفضل

منهما من حكم له بالفضل. فإن قيل: فكيف يقبل حكمه لنفسه قيل وهذا ايضا دليل على تفضيله وعلو مرتبته وشرفه.

فإن الحاكم إنما لم يسغ ان يحكم لنفسه لاجل مظنة التهمة والعلم تلحقه تهمة في حكمه لنفسه فإنه إذا حكم حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته وتلقاه بالقبول ويستحيل حكمه لتهمة فإنه إذا حكم بما انعزل عن مرتبته وانحط عن درجته فهو الشاهد المزكي العدل والحاكم الذي لا يجور ولا يعزل). اهـ

ولا يعزب عن ذهنك أن الرد على أهل البدع أولى من الرد على الكفار.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢ / ٣٤):

قال ابن هبيرة وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الاسلام وفي قتال أهل الشرك طلب الربح وحفظ رأس المال أولى. اهـ

وبهذا يدفع قول من كره الكلام في أهل البدع في شهر رمضان.

ويا ليت شعري إذا كان لا ينكر على من أفضى إلى امرأته في ليلة الصيام لقوله

تعالى: {أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: ١٨٧]

مع كون هذا الأمر مباحاً في أصله، وقاصر النفع على الرجل وامرأته، فكيف ينكر على من اشتغل بما هو دائر بين الفرض الكفائي، والفرض العيني، ونفعه متعدٍ للمسلمين، ويتأكد في هذه الأعصار التي كثرت فيها الفتن والبدع.

قال الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث [ص ٢٢٥]:

(أخبرني عبد الغفار بن أبي الطيب المؤدب، قال: حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: حدثني جدي، قال: سألت أحمد بن حنبل، قلت:

يا أبا عبد الله أيهما أحب إليك: الرجل يكتب الحديث أو يصوم ويصلي؟
قال: يكتب الحديث.

قلت: فمن أين فضلت كتاب الحديث على الصوم والصلاة؟
قال: لئلا يقول قائل: إني رأيت قوما على شيء فاتبعتهم.
قال الخطيب قلت: طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع لأجل
دروس السنن وخمولها، وظهور البدع واستعلاء أهلها). اهـ

أقول: هذا في زمن الخطيب فكيف في زماننا؟
ولا يأتي زمان إلا والذي بعد شر منه كما ورد في الخبر.
وقال **معمر** في جامعه [١٠٩٢]: عن الزهري قال:
(ما عبّد الله بمثل الفقه).

والزهري أحد المنقول عنهم ترك إقراء الحديث في رمضان فلا تنس ذلك!.

وقال **ابن عبد البر** في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٧٨):
(والكلام في العلم أفضل من الأعمال، وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد
به نفي الجهل ووجه الله تعالى والوقوف على حقيقة المعاني). اهـ

والناس في زمن ابن عبد البر لا شك أنهم أعلم بالحديث وآثار الصحابة والعريية من أهل
عصرنا، ومع ذلك قيل هذا، فما يقال في أهل أعصرنا؟

التنبيه الأخير:

قال **البيهقي** في شعب الإيمان:
(فصل في الاستكثار من القراءة في شهر رمضان و ذلك لأنه شهر القرآن). اهـ

أقول: ولا أعلم أحداً سبقه إلى تسمية رمضان بـ (شهر القرآن).
فإن هذه التسمية لم تكن مشتهرة عند السلف بل لم تكن موجودة أصلاً، وما رأيت
أحداً تابعه عليها فلا تجد لهذه التسمية ذكراً في كلام شيخ الإسلام ولا تلميذه ابن القيم
ولا ابن رجب ولا النووي ولا ابن حجر ولا أئمة الدعوة النجدية، ولكنها اشتهرت بين
المعاصرين والله أعلم.

هذا، وصلّ اللهم على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.